المحاضرة 06: علاقة البلاغة العربية بنظرية الاتصال

نظرية الخطابة الجديدة

مصطلح الخطابة الجديدة أطلقه بيرلمان عام 1958 على دراسة تتناول الحجاج، بوصفه خطابة تستهدف استمالة عقل المتلقي والتأثير في سلوكه، أي الإقناع. حيث نجد في جملة المفاهيم الحديثة للحجاج التي عرضها ريتشارد ومالكولم: اتفاقا فيما بينها على كون الحجاج عملية اتصالية، تعتد الحجة المنطقية – بالأساس– وسيلة لإقناع الآخرين والتأثير فيهم، ولعل أدل هذه المفاهيم على ذلك مفهومان:

- **الأول:** طريقة تحليل واستدلال، يقصد تقديم مبررات مقبولة للتأثير في الاعتقاد والسلوك؛
- **الثاني:** عملية اتصالية يستخدم فيها المنطق للتأثير في الآخرين.

إن الباعث أو المحرك الأول للحجاج هو الاختلاف فالحجاج لا يكون فيما هو يقيني أو إلزامي كالحقائق الرياضية. ففي الحجاج كما عرفه بيرلمان ... ترتبط الفكرة بالعمل كما تتجلى في الواقع ارتباطا وثيقا فالحقيقة ليست من صنع الأنا الديكارتية وحدها، وإنما يشترك في صنعها المتكلم وجمهور سامعيه، فهذا الجهور هو بمثابة الشاشة التي تسقط عليها الفكرة، لتبين مدى صحتها وصلابتها.

والغاية التي يرمي إليها الحجاج هي تحقيق الاستمالة لما يعرض عليه والتأثير العملي في سلوكه، بالجملة والإقناع.

وللحوار الحجاجي أنماط مختلفة سنحاول التطرق لأهمها:

1. **المشاجرة الشخصية:** يتسم الوضع فيها بالهياج الانفعالي، وتعتمد على توجيه اتهامات موجعة، وتهدف إلى التعدي على الآخر والنيل منه، وهو أحط مستويات الحجاج، إذ لا صلة لها بالمنطق.
2. **المناظرة:** يتسم الوضع فيها بالنزاع أو الصراع الجدلي بين طرفين، يقوم بينهما قضاة أو حكام يحددون – ربما تصويت– أيهما أقوى حجة، وفي أغلب الحالات يكون الحكم للجمهور الذي يصوت في نهاية المناظرة، حيث يسعى كل مناظر إلى التأثير فيمن سيصدر الحكم، إذ قد تنجح بفضل القدرة على المناورة وتمرير الأدلة.
3. **التحقيق:** يتسم الوضع فيه بافتقاد دليل يثبت صحة واقعة ما، وثمة معلومات سابقة على الواقعة يقوم المحقق بجمعها، ويبني عليها حججا متصاعدا حتى يصل إلى دليل قاطع على صحة الواقعة.
4. **المفاوضة:** يتسم الوضع فيها باختلاف المصالح بين طرفين، ويهدف كل واحد منهما إلى تحقيق مصلحته الشخصية عن طريق المساومة أو المقايضة.

إن بيرلمان إذ يعود إلى الخطابة القديمة، فإنما يعود للتأكيد على استباق فكرة جوهرية لديها، وهي فكرة المتلقي. فهو المحور لكل من الخطابة القديمة والجديدة، إذ يصب الخطاب على قدره ومقامه مادام هو المراد إقناعه. غير أن المتلقي في الخطابة القديمة بحكم تقيدها بالخطاب المنطوق متلق سامع، بينما المتلقي في الخطابة الجديدة قد يكون سامعا وقد يكون قارئا.

وتقوم اللغة في الخطاب الحجاجي بدور جوهري وفعال في تحقيق التأثير والاستمالة، فالمفردات والتراكيب التي يختارها المتكلم لوصف حدث ما تعكس

موقفه تجاه ذلك الحدث. ولم يبقى دور المتلقي سلبيا سابقا، وإنما أصبح متلقي إيجابي فيما يتلقاه ويفكر فيه، ثم يرد ويناقش ويفند ويدعم. لينتقل من موقع المتلقي إلى موقع المرسل.

ولا يقتصر دور اللغة على إثارة الشاعر والانفعالات الإيجابية والسلبية، وإنما تقدم أيضا حججا منطقية معقولة تستميل عقل المتلقي كالتمثيل، حيث أن المحاجات المبنية على التمثيل تؤكد مبدأ الاتساق الذي يعني وجوب معالجة الحالات المتشابهة على السواء.

وبهذا يمكن القول أن البلاغة هي الإبلاغ الفهم المؤثر إفهاما وتأثيرا من شأنهما تحقيق الإقناع والاستمالة. ومادام الدرس البلاغي قد اتخذ الاستمالة والإقناع هدفا لفن البلاغة، فإنه يتفق من هذه الزاوية وفيها مع الدرس الغربي الذي اتخذ الاستمالة والإقناع أيضا هدفا لفن الخطابة قديما وحديثا؛ أي إن تحقيق الاستمالة غاية مشتركة بين البلاغة العربية وكل من الخطابة القديمة عند أرسطو والخطابة الجديدة عند بيرلمان.